صدى الثورة الجزائرية في الشِّعر المِصري الحديث
"دراسة موضوعية"

إعداد
د. عبد الكريم أحمد مغاوري مُحَمَّد
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية

مُـلخَّص البحث:

يرمي الباحث من هذا البحث إلى إظهار أن مهمة الفن الأدبي عامَّة- والشِّعري خاصة- لا تقتصر على الإمتاع، بل تعدى دوره هذا الحيز ليصير ضرورة من ضرورات الحياة، تلك الضرورة التي جعلت أرباب الفن يقفون صفًّا واحدًا مع الأبطال والثوار المدافعين عن الأوطان وحماها، والمضحين في سبيل حريتها ونهضتها واستقلالها بأغلى وأثمن ما يملكه الإنسان.

وانتهج الباحث المنهج المتكامل، والذي تابع من خلاله القصائد التي تناولت الثورة الجزائرية فقام بقراءة النصوص الشعرية قراءة فاحصة، فضم النصوص التي اتَّحد موضوعها، محاولًا شرح بعضها، مبرزًا بعض سماتها الفنية؛ فاستطاع- بتوفيق الله تعالى- أن يُخرج هذا البحث مُعَظِّمًا تضحيات الجزائريين وعطاءاتهم التي قَدَّموها من أجل تحرير بلادهم من براثن الاحتلال الفرنسي البغيض، ممجدًا بسالتهم وشجاعتهم في مواجهة هذا المحتل؛ مبينًا كيف اتَّخذ الشعراء المصريون من هذه العطاءات والتضحيات وقودًا أجَّج مشاعر الغضب في نفوس إخوانهم الجزائريين وأشقائهم العرب وأنصار الحرية في كل مكان؛ محرضين لهم على اتخاذ الثورة على المحتل الفرنسي نهجًا وطريقًا يسلكونه لنيل حريتهم واستقلالهم؛ وفي ذات الوقت نَدَّد الشعراء بالمحتل الفرنسي وما ارتكبه من جرائم وانتهاكات بحق الشعب الجزائري الشقيق؛ جعلتهم كالوحوش الضارية التي لا تعيش إلا على القنص والقتل والاعتداء.

الكلمات الدلاليَّة : الثورة، المدح، التنويه، التثوير، التنديد.

Abstract

The researcher aims to highlight a specific issue through this paper, that is: Literature, especially poetry, thrives to not only entertain but also to satisfy an essential part in one's life. It is the essential component that made artists stand beside the heroes, the revolutionaries, and the soldiers protecting their mother land. Those heroes who sacrificed for the sake of their country's freedom, development, and independence with the most precious thing any man can own. And pursued a researcher analytical method by reading the poetic texts read closer, annexation texts that united the theme, trying to explain some of them, highlighting some of the technical features; Fasttaa - the grace of God - that this research comes out venerated sacrifices Algerians and their bids they have made for the liberation of their country from the clutches of the occupation French obnoxious, glorified bravery and courage in the face of the occupier; showing how the Egyptians have taken the poets of this tender and sacrifices fuel. This research paper amplifies the sacrifices the Algerian people had to make, and are still making, in order to free their country from the invading claws of the French people. It glorifies their selflessness and bravery while facing the invaders. These sacrifices were used as a fuel that set fire to the insides of fellow Algerians, neighboring Arabs, as well as advocates of freedom worldwide. These sacrifices encouraged these people to take the Algerian revolution as a code of life to live by, as well as a method used to obtain their own freedom and independence. At the same time, the poets portrayed the French invaders as monsters that live off killing and terrorizing people by writing about their crimes and violations towards the neighboring Algerian people.

Key words: revolution, Egyptian poetry, talk, compliments, noting, revolutionizing, denouncing

إشكاليَّة البحث:

تقوم هذه الدراسة على دراسة جانب مهم من جوانب الشِّعر المصري الحديث، ألا وهو الجانب السياسي من خلال دراسة مصدر مُهم من المصادر التي ألهمت الشعراء المصريين وشغلت حيزًا كبيرًا من تفكيرهم وشعورهم؛ فقد شكَّلت الثَّورة الجزائرية نموذجًا فريدًا من نماذج العطاء والفداء من أجل الحرية والاستقلال؛ فكانت- بحق- المثل الذي يُضرب لتنبيه الشعوب الغافلة وإيقاظها من أجل تحرير بلادها، والعمل على نهضتها واستقلالها؛ فأصبحت الثورة الجزائرية والثوار الجزائريون رمزًا لكسر قيود الظلم والطغيان، والتحرر من ربقة الاحتلال والاستبداد؛ ولذا رأينا هذه الثورة قد حركت مشاعر الشُّعراء، وهَزَّت وجداناتهم؛ فنهل الشعراء من معينها المتدفق في تسطير وتوثيق عطاءات الثوار الجزائريين، كما جعلوا هذه العطاءات أنموذجًا لا بد وأن يحتذيه كل مَن يريد نيل حريته واستقلاله من قِبَل الشعوب المحتلة، خاصة في ذلكم الوقت الذي هَبَّ فيه المصريون يطالبون بحريتهم واستقلالهم من الاحتلال البريطاني.

كما كانت منهلًا متدفقًا لتوثيق الجرائم التي ارتكبها الفرنسيون في الجزائر؛ فأصبحت وصمة عار تصم الفرنسيين بكل ما هو مُخز ومُرْدٍ.

ومن خلال هذه النصوص- قصائد الشُّعراء- وجدنا أن الشِّعر المصري قد تناول الثَّورة الجزائرية في موضوعات شتى؛ منها ما هو مديح وتنويه وفخر واعتزاز، ومنها ما هو تثوير وتحفيز، ومنها ما هو ذم وتنديد؛ فخلدت لنا شعرًا ثوريًّا في نبرته، إنسانيًّا في حقيقته، عالميًّا في هدفه وغايته؛ فجاءت هذه الأشعار معبرة- في صدق- عن معاناة شعب أعزل كافح في سبيل إعلاء قِيم الحرية والاستقلال، ونَيْل الحقوق والمكتسبات.

- أسئـلة البحث:

١- ما الدور الذي قام به الشعراء المصريون لنصرة الثورة الجزائرية؟

٢- كيف تناول الشعراء المصريون أخبار الثورة الجزائرية، وتفاعلوا معها؟

٣- ما الأسباب التي دفعت الشعراء المصريين لمديح الثورة الجزائرية والتنويه بأبطالها وعطاءاتهم؟

٤- كيف أسهم الشِّعر المصري في تعريف المجتمع المصري خاصة- والمجتمع العربي عامة- بأخبار الثورة، وتسطير بطولات أبنائها؟

٥- أهـداف البحث:

يهدف الباحث من خلال هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

(١) إظهار الدور الريادي للشعر والشعراء في معارك الشعوب لنيل حريتها واستقلالها.

(٢) رصد الوجود اللفظي والمعنوي للثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث.

(٣) الوقوف على الموضوعات التي تناولت الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث.

(٤) إظهار الدور الفاعل للثورة الجزائرية في تنمية روح المشاركة، والتجاوب بين الشعب المصري عمومًا وشعرائه خاصة وبين أشقائه الجزائريين، والتأكيد على أن الشعب المصر مساند للشعب الجزائري في معارك كفاحه ونضاله من أجل نيل حريته واستقلاله.

(٥) الحرص على تأكيد دور الأدب عمومًا- والشعر خاصة- في معارك التحرر الوطني للشعوب العربية والإسلامية.

(٦) العمل على إظهار الوجه الحقيقي للاحتلال الأجنبي من خلال كشف جرائمه وانتهاكاته بحق الشعوب التي احتل أرضها واستعبد شعوبها.

(٧) الرد على كثير من الأفانين والترهات التي يرددها أذناب المحتلين وأعوانهم من قبيل أن دول الاحتلال ما قَدِمت إلا لنشر التمدن والتحضر والعمل على التقدم والازدهار.

– أهميَّةُ البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يَذهب بالشعر مذهبًا له كل التقدير والتنويه والإشادة؛ فيُظهر دوره في معارك التحرر الوطني وسعي الشعوب لنيل حريتها واستقلالها؛ فالبحث يتناول الثورة الجزائرية من خلال النظرة الفنية للشعراء المصريين، وهي ظاهرة لها أهميتها البالغة– تاريخيًّا وأدبيًّا وفنيًّا– وإن شئتَ– أيضًا– سياسيًّا؛ فهي تبرز– في وضوح– حقيقة الثورة الجزائرية والأهداف العظيمة التي قامت من أجلها؛ فما قامت هذه الثورة إلا إعلاء لقيم الحرية والعدالة ونيل الحقوق، ومحاربة الظلم والطغيان والاحتلال والاستبداد؛ كما ترجع أهمية البحث إلى كونه يُعد وثيقة إنسانية خالدة تؤرخ وتوثق الجرائم التي ارتكبها الفرنسيون بحق شعب أعزل في فترة زمانية تقارب المائة والثلاثين عامًا أو أكثر قليلًا، وعلى امتداد الحدود الجغرافية للقطر الجزائري؛ فأكسبت الشعر قيمًا عُليا مع قيمته في الإمتاع والإقناع، ألا وهي القيم التاريخية والتوثيقية للأحداث والوقائع والأشخاص والبطولات والعطاءات.

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسة تناولت الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث، وجل ما عثر عليه هو دراستان هما:

١– الثورة الجزائرية في الشعر العربي الحديث. د. رمضان حينوني. المركز الجامعي لتامنغست/ الجزائر: وفيها تناول الباحث بعضًا من النصوص الشعرية التي تناولت الثورة الجزائرية بأبطالها وأماكنها ووقائعها؛ ممجدين لها، مكبرين عطاءات أبطالها وتضحياتهم، وقد وَسَّع من نظرته وتناوله؛ فجمع نماذج لمفدى زكريا، وأحمد عبد المعطي حجازي، ونازك الملائكة، وسليمان العيسى، والشاعرة طلعت الرفاعي، والشاعر حسن عبد الله القرشي، وغيرهم، فلم يقصرها على بلد معين أو شاعر محدد، فهي دراسة تتناول الثورة الجزائرية في الشعر العربي عامة، أما دراستنا فتخص الشعر المصري بالبحث والتحليل دون غيره من البلاد العربية الأخرى.

٢- "صورة الجزائري في الشعر العراقي الحديث مقاربة سيميائية من خلال كتاب(الثورة الجزائرية في الشعر العراقي) لعثمان سعدي عبد المالك، ضيف قسم اللغة والأدب العربي جامعة المسيلة، وهذه الدراسة بعيدة كل البعد عن موضوعنا فهي تتناول صورة الثورة الجزائرية من خلال صور أبطالها وأوقاتها وأماكنها في الشعر العراقي فقط؛ فهي دراسة فنية محضة، وتعتمد على كتاب "الثورة الجزائرية في الشعر العراقي"، أما دراستنا فهي دراسة موضوعية، وفي الشعر المصري وليس الشعر العراقي، وتعتمد على دواوين الشعراء، وليس كتابًا من الكتب.

- منـهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه المنهج التاريخي؛ فقام بتجميع المادة العلمية التي تتناول الثورة الجزائرية، وحرص على الوقوف على مقوماتها، ومتابعة الموضوعات التي وردت فيها، واستنباط أبعادها الغائبة التي حاول الشعراء المصريون تحقيقها داخليًّا وخارجيًّا، كما حاول الوقوف- ولو قليلًا- على بعض السمات الأسلوبية والفنية اللافتة في بعض النصوص الشعرية، والتي رآها مُثرية العمل الشعري، ومُضفية عليه أبعادًا جمالية ودلالية.

حـدود البحث:

ارتأى الباحث اختيار نصوص شعريَّة لمجموعة من الشعراء المصريين الذين عاصروا الثورة الجزائرية وعايشوها، أو رويت لهم أخبارها بعد ذلك؛ فهم أقدر على وصف الأحداث والتجاوب معها، فاقتصرت حدود البحث على الشعر المصري الحديث من العام ١٩٥٤م وما بعده، فتحدد للبحث ثلاثة حدود هي:

١- الحد الزماني: ويشمل الشعر الذي قيل بعد قيام الثورة الجزائرية في الأول من نوفمبر ١٩٥٤م إلى وقتنا الحاضر.

٢- الحد المكاني: ويشمل القُطر المصري فقط، دون غيره من الأقطار الأخرى؛ عربية وغير عربية.

٣- الحد الموضوعي: ويحتوي على الصدى الموضوعي للثورة الجزائرية دون غيره من أصداء أخرى؛ كالأصداء الفنية مثلًا.

- محاور البحث

قسم الدارس بحثه إلى مُقدِّمَة، ومبحثين، ونتائج، وتوصية، كما يأتي:

- المقدِّمة: ويعرض فيها الباحث أسباب اختيار الموضوع، وإشكاليات الدراسة، وتساؤلاتها، وأهدافها، وأهميتها، وحدودها، ومنهجها، والدراسات السابقة، والمصطلحات والمفاهيم المعتمدة عليها، والنتائج التي تَوصل إليها، ويَختم بالتوصيات.

- **المبحث الأول: المدح والتنويه:** وفيه تناول الباحث النصوص التي أشادت بالثورة الجزائرية، ونَوَّهت بأبطالها؛ فسطرت بطولاتهم وعطاءاتهم فجعلت منهم القدوة والأنموذج الذي لا بد وأن يَحتذيه كل ساع إلى نيل حريته واستقلاله.

- المبحث الثاني: التثوير والتحفيز: وفيه عمد الباحث إلى ذكر بعض النصوص التي اتخذ الشعراء من الثورة الجزائرية وبطولات أبنائها وقودًا أَجَّج المشاعر في نفوس مُتلقيه؛ حتى ينهجوا نهجهم، ويسلكوا طريقهم في مقاومة المحتل ومدافعته والعمل على دحره وإخراجه من بلادنا.

- المبحث الثالث: الذم والتنديد: وفيه سلط الباحث الضوء على الأشعار التي نددت بالمحتل الفرنسي وأعوانه من العملاء الجزائريين الذين ساموا الشعب الجزائري الخسف والجور والظلم والطغيان؛ فوصم الشعراء هؤلاء بما يَندى له الجبين ويَبقى سُبَّة أبد الدهر.

- الخاتمة: وتحتوي على أبرز النتائج التي انتهى إليها البحث.

- قائمة المصادر والمراجع: وفيها وَثَّق الباحث المراجع والمصادر التي استعان بها في إخراج هذا البحث على هذه الصورة التي بين يدي القارئ.

– **توصيات البحث**. وفيها قدم الباحث مقترحًا ارتآه جديرًا بالتوصية، وهو جمع الشعر الذي دار في فلك الثورة الجزائرية في كتابٍ أو سِفر واحد؛ حتى يكون سجلًا أدبيًّا وفنيًّا وتاريخيًّا للثورة الجزائرية يَنهل منه كل مَن يريد أن يَطَّلع على بطولات أبناء الجزائر، وجرائم المحتل الفرنسي وجرائره.

المقدمة:

لم تكن الجزائر بمنأى عن مطامع الغرب الصَّليبي وشراهته المنكورة للدماء والأنفس ونهب المقدرات والأموال؛ "ففي سنة (١٨٣٠م) نفذت الدولة الفرنسية إرادة كانت تجول في خاطرها منذ أمد طويل، وهى احتلال القُطر الجزائري، وتشريد أهله والاستيلاء على أرضه، وجعله موطنًا للمهاجرين من الفرنسيين الذين سُدَّتْ في وجوههم أبواب الرزق في بلادهم"(١).

استطاعت فرنسا بما أوتيت من مظاهر القوة والتقدم العلمي احتلال الجزائر، واستعباد أهلها، ونهب خيراتها وثرواتها؛ وتمكنت من مفاصل الدولة الجزائرية؛ فعملت على تثبيت أقدامها في الجزائر؛ بل حاولت- ما استطاعت- تغريب الجزائر وأهلها، وإذابتهم في الدولة الفرنسية؛ وجعل الجزائر امتدادًا طبيعيًّا وجغرافيًّا للدولة الأم في شمال البحر المتوسط، فحاولت أن تَقضي على هُوِيَّةِ البلاد الأصلية- العربية والإسلامية-؛ فعمدت إلى القضاء على اللغة العربية، والقضاء على كل ما من شأنه أن يربط الجزائريين بدينهم أو أن يُقوي فيهم الرُّوح الدينية- والتي أدرك الفرنسيون أن هذه الروح هي المهدد الأقوى لوجودهم في الجزائر- وهو ما استطاعوا أن ينجحوا فيه إلى حد بعيد، فاللغة العربية اندثرت أو كادت؛ يبين ذلك أمير الشعراء في حسرة وألم عندما روى حادثة له عند زيارته للجزائر في مطلع القرن العشرين فيقول: "ولا عيب فيها (يقصد الجزائر) سوى أنها قد مُسخت مسخًا؛ فقد عهدتُ مسَّاح الأحذية فيها يستنكف النطق بالعربية، وإذا خاطبته بها لا يُجيبك إلا بالفرنسوية"(٢).

(١) مجموعة مؤلفين، **المقاومة الشعبية في الشرق**، العدد "٣٠"، سلسلة (اخترنا لك)، دار المعارف بمصر، صـ٢٠٤.

(٢) هويدي، فهمي، مارس سنة ١٩٨٦، **عريضة اتهام مغربية ضد المشارقة**، عدد ١٢٣٢، مجلة الدوحة، قطر، صـ ١١، نقلًا عن بحث: ضيف، عبد المالك: **صورة الجزائري في الشعر العراقي الحديث**، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة المسيلة، العراق.

أما الروح الدينية فقد انطفأت جذوتها في نفوس كثير من أبناء الجزائر أو أوشكت إلا بصيص نور خافت هنا أو هناك.

ومع ما بذله الفرنسيون من جهود، وما حاكوه من مؤامرات، وما سلطوه على الجزائريين من مغريات؛ ليكسبوا ودَّهم، ويقضوا على حب وطنهم في نفوسهم، إلا أن الله لم يَحرم الجزائريين من هذا النور؛ نور الإسلام وبريق العروبة؛ فقد هبَّت رياح التغيير على الجزائريين؛ فأوقدت في نفوسهم جذوة الانتماء، وأضاءت أمامهم شعلة الحرية والعزة والكرامة؛ فأفاقوا من غفوتهم، واستيقظوا من نومتهم، وقاموا من سُباتهم؛ فكانت نهضةَ العملاق الذي أذاق أعداءه الويلات والعذابات؛ ولَقَّنهم ولَقَّن الشرق كله من دروس حبِّ الأوطان وافتدائها بالغالي والنفيس ما جعل الجزائريين مورد الأمثال في البذل والعطاء، والنموذج الأمثل في التضحية والفداء.

وبعد هذا الاستيقاظ ما نعمت فرنسا بوجودها على شاطئ الجزائر، وما وجدته مصطافًا كما كانت تريد؛ فالمجاهدون الجزائريون لم يألوا جهدًا في الدفاع عن وطنهم والزود عنه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا؛ فضربة المدفع الأولى التي أطلقت على أرض الجزائر لم تكن إيذانًا بانهيار أمة، وسقوط نظام، واستعباد شعب، وركونه إلى جَلَّاديه، كلا، بل كانت إيذانًا بخروج أمة كاملة إلى ميادين الشرف والتضحية والفداء، كانت إيذانًا بجهاد مقدس، اشتعلت جذوته سنة (١٨٣٠م)، فلا تزال تلتهب، ولا تزال تمتد[١] حتى أخرج الجزائريون الفرنسيين من بلادهم صاغرين مَدحورين؛ فقد خاض أبناء الجزائر مرحلة الكفاح المسلح بكل بسالة وشجاعة وثبات وإقدام، وظلت ثورتهم متقدة مسعرة على الاحتلال وأعوانه سنين عددًا، دفع الشعب الجزائري خلال هذا الصراع المرير مليون ونصف المليون شهيد، أي: ما يعادل (٥٣٥) شهيدًا كل يوم، وهو ما يعادل- أيضًا- من ٢٦ إلى ٢٧ شهيدًا كل ساعة تقريبا[٢] .

(١) **المقاومة الشعبية في الشرق**، صـ٢٠٥.

(٢) العسيلي، بسَّام، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، **جيش التحرير الوطني الجزائر**، ط١، دار النفائس، بيروت- لبنان، صـ٥٥ بتصرف.

إنها لتضحيات عظيمة تلك التي قَدَّمها شعب الجزائر من أجل حريته واستقلاله، وإنها لصفحات من نور تلك التي تسجل أسماء المناضلين الذين قضوا، والذين جرحوا أو أُصيبوا من أجل الوصول إلى هذه الغاية المحمودة.

إن هذه التضحيات العظيمة التي قدَّمها شعب الجزائر جعلته موطن الإجلال والإكبار والتحية العاطرة بأريج المسك والريحان المقتبس من رائحة دماء الشهداء الزكية التي عطرت الأرض، وطارت في الآفاق ناشرة أريج البطولة والفداء والتضحية والعطاء.

ولقد كان صدى الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث متنوعًا ومتعددًا؛ منها الجميل الزاهي، ومنها القبيح الخبيث، منها العام الجامع، ومنها الخاص المنفرد، فكان صدى هذه الثورة إمَّا تمجيدًا وإشادة بالثورة وأبطالها، أو ذمًّا وتنديدًا بالمحتلين وأعوانهم.

المبحث الأول: المدح والتنويه:

وتحت هذا العنوان ظهر المعدن الأصيل للشعب الجزائري الأبي، الذي رفض الركون إلى المحتل الفرنسي، أو رضي بمُقامه وإذلاله للجزائريين ونهب مقدراتهم وثرواتهم؛ فكانت مكانتهم عند الشعراء المصريين عالية وقيمتهم غالية، كما كانت صورتهم جميلة زاهية؛ كانت صورة شعب كامل، لا صورة فرد أو جماعة، صورة شعب هَبَّ على الباغي هَبَّة رجل واحد مضحيًا بالغالي والنفيس من أجل تحرير البلاد من ربقة القيد والذل والضَّيم، والاستعباد والاحتلال؛ فاستحق هذا الشعب- بكل طبقاته وشتى أطيافه ومكوناته- كل تمجيد وإكبار وتحية وإجلال، يصور ذلك الشاعر "مُحَمَّد الأسمر"[(١)] في تحيته لشعب الجزائر وأشقائه المغاربة الذين شاركوه في الثورة والغضب على هذا المحتل ومقاومته ومدافعته، فيقول[(٢)]:

(تام الرمل)

حَـــيِّ فِي (المغْـــرِبِ) شَـــعْبًا عَرَبِيًّـــا　　هَـــبَّ عَلَـــى البَـــاغِي إِعْصَـــارًا عَتِيًّـــا

خَاضَـــــهَا شَـــــعْوَاءَ نَارًا وَدَمًـــــا　　خاضـــها مـــوتًا مشـــى فيـــه أبيـــا

مَـــنْ يَعِـــشْ مِـــنْهُمْ يَعِـــشْ حُـــرًّا وَمَـــنْ　　مَـــاتَ مِـــنْهُم مَـــاتَ مَـــوْتًا قُدُسِـــيًّا

مَثَـــلٌ أعْلَـــي إِذَا الشَّـــرْقُ اعْتَلَـــى　　سُـــلَّمَ المَجْـــدِ لَـــهُ عَـــاشَ عَلِيًّـــا

ثـــورة قامـــت فأمســـى ذكرهـــا　　وهـــو عطـــر يمـــلأ الـــدنيا زكيـــا

(١) هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد الأسمر: شاعر مصري من علماء الأزهر، وُلد في دمياط عام ١٩٠٠م، وبها تَعَلَّم، ثم التحق بالأزهر (سنة ١٩٢٣)، فأحرز شهادة (العالمية) سنة ١٩٣٠م، وكان (مصححًا) في جريدة السياسة؛ فنشر فيها بعض نَظمه، وكان رقيق الطبع، حسن العشرة، ألوفًا، طيب النفس، له (ديوان الأسمر- ط) في مجلد ضخم جمع فيه كل ما قاله إلى سنة (١٩٥٠م)، و(بين الأعاصير- ط) بعد وفاته، توفي بالقاهرة عام (١٩٥٦م)، ودُفن بدمياط. الزركلي، خير الدِّين، مايو/ ٢٠٠٢م. **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥، بيروت، لبنان، ٧/ ٨٥.

(٢) الأسمر، مُحَمَّد، **ديوان بين الأعاصير**، شركة فن الطباعة، شبرا- مصر، توزيع دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، صـ ٩٨.

إنهـــا (جانـــدرك) أخـــرى رفعـــت		لبـــني الشـــرق لـــواء (يعربيـــا)

وهـــي لا تحرقهـــا النـــار وهـــل		تحـــرق النـــيران عزمـــا مغربيـــا

وليس المقصود من قوله (المغرب) في البيت الأول: البلد الشقيق والذي عاصمته (الرباط)، وإنما يقصد بلاد المغرب العربي كلها؛ (تونس والجزائر والمغرب).

وإن كانت هذه التحية بسبب الثورة الجزائرية بدليل المقدمة التي صَدَّر بها أبياته فقال: "إذا كانت الفظائع الاستعمارية التي اقترفتها فرنسا في المغرب (تونس) و(الجزائر) و(مراكش) قد هَزَّت الضمير العالمي، فإن بسالة رجال المغرب الذين حاربوا الاستعمار والظلم قد أثارت مشاعر الأحرار في أرجاء العالم، كما ظفرت بإكبارهم لهذه البسالة وإعجابهم بها[١]"، كما أن تاريخ نَظم هذه الأبيات يعود إلى العام ١٩٥٥م، أي: بعد انطلاق الثورة الجزائرية ببضعة أشهر، التي ناصرها كل الأحرار في شتى البلدان العربية والإسلامية، وكان لبلاد المغرب العربي أوفى نصيب من هذه المناصرة؛ فكانوا جديرين بالتمجيد والإشادة، شأنهم في ذلك شأن الأبطال الجزائريين.

وللتضحيات العظيمة التي قَدَّمها الشعب الجزائري أضحت بلادهم مقدسة مطهرة من كل الأرجاس والأدناس؛ جديرة بأن تكون قِبلة يُتوجه إليها، ويقصدها الناس لأداء المناسك والأركان، ويتقربون إلى الله بزيارتها والتعفر بترابها الذي طهرته الدماء والأشلاء، دماء الشهداء وأشلاء الضحايا والمصابين، يُصور ذلك الشاعر محمود غنيم [٢] فيقول في "مهرجان الجزائر"[٣]: (مجزوء الكامل)

زار البقيـــعَ وحَـــجَّ زائـــرْ		شَـــدَّ الرِّحَـــالَ إلى الجزائـــرْ

(١) الأسمر، محمد، **ديوان بين الأعاصير**، صـ ٩٨.

(٢) محمود غنيم: شاعر مصري، وُلد في قرية (كوم حمادة) عام ١٣١٩هـ- ١٩٠١م، وتخرج بدار العلوم (١٩٢٩م)، عَمل بالتدريس، له ديوان شعر وبعض المسرحيات، توفي عام ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، **الأعلام**، ٧/ ١٧٩

(٣) غنيم، محمود، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م. **الأعمال الكاملة**، دار الغد العربي، القاهرة- مصر، صـ ٦٨٢.

لَبَّيْـــــتُ حـــــين نزلتُهـــــا　　وأقمـــــتُ للحـــــجِّ الشـــــعائرْ

ونَضَـــــوْتُ أثـــــوابِي بهَـــــا　　واعْتَضْـــــتُ عنهـــــا بالمـــــآزرْ

وخلعـــــتُ نعلـــــيَّ فـــــوق تـــــرْ　　بٍ مثـــلِ تُـــرْبِ الطُّـــورِ طـــاهرْ

شَـــــدُّ الرِّحَـــــالِ إليكمـــــو　　للـــــذَّنْبِ عنـــــدَ اللهِ غـــــافرْ

إن هذه الصورة التي تُضفي على تراب الجزائر القداسة والطُّهر لتجلها في كل نفس، وتعلي قدرها عند كل إنسان يعلي قيمة الحرية والكرامة؛ فتدفعه للتضحية بكل غال ونفيس دفاعًا عنها وذودًا عن حماها؛ وهو بذلك لا يكتسب الحمد والثناء الدنيوي فقط، وإنما يمتد جزاؤه ويُجْزَلُ عطاؤه في الآخرة عند رب العالمين سبحانه وتعالى.

وما اكتسبت الجزائر قداستها ولا طهارة ترابها إلا بدماء الشهداء الزكية التي قَدَّست أرضها، وطهرت أركانها من أرجاس الاحتلال والظلم والطغيان، يصور ذلك الشاعر محمود غنيم فيقول عن جبل الأحرار "جبل أوراس"[(١)]:

جَبَـــــلُ الجَزَائِـــــرِ أَنْـــــتَ يَا　　أوراسُ أم جَبَـــــلُ المجـــــازرْ

هـــــل فيـــــك شِـــــبْرٌ لم يُخَضْـــــ (م) ـــــضِبْهُ دمٌ مـــــن جـــــرح ثائـــــرْ

مَثَـــلٌ لعمـــري أنـــتَ للـــــ (م) ـــــحريةِ الحمـــــراءِ ســـــائرْ

يا أمـــــــةَ الشـــــــهداء يا　　عرِّيسَـــــةَ الأُسْـــــدِ الزوائـــــرْ

الحـــــاملين علـــــى العِـــــدا　　مثـــــل الســـــيول أو الأعاصـــــرْ

الصَّاعِدِيـــــن علـــــى الهـــضـــ (م) ـــــاب الهـــــابطين إلى المغـــــاورْ

(١) غنيم، محمود، **الأعمال الكاملة**، ص ٦٨٢.

المـــــــــــؤثرين لطعنـــــــــــة مِـــن قاتـــل، عـــن قيـــد آســـرْ
المنكـــــــــــرين ذواتهـــــــــم حـــــتى تـــــراهم بالمجـــــاهرْ
مـــــا مَـــــنْ يجاهـــــد خفيـــــة خلـــف الســـتار كمـــن يجـــاهرْ
لم يطمعـــــــــوا إذ دافعـــــــوا عـــن أوطـــانهم- في أجـــر آجـــرْ
مَـــــنْ زَادَ عَـــــنِ أَوْطَانِـــــهِ لينـــــال أجـــرًا فهْـــو تاجـــرْ
عُـــزْلٌ أمـــام مدجـجيـــ (م) ـــن بكـــل ماضـــي الحـــد باتـــرْ
إن غـــــابَ حـــــدُّ ســـــلاحِهِم فَيَقِيـــــنُهُم باللهِ حَاضِـــــرْ
أَغْنَـــــــــاهُمُ إِيمَـــــــــانُهُمْ عَـــــنْ كُـــــلِّ طَـــــائِرَةٍ وَطَـــــائِرْ

وكما تناول الشعراء المصريون الشعب الجزائري بأجمعه بالتمجيد والتبجيل، تناولوا أفراده الذين سطروا- بدمائهم وعذاباتهم- أسماءهم بمداد من نور في سجل الخالدين؛ فهم الذين ضحوا في سبيل بلادهم وأوطانهم بأغلى وأثمن ما يملكه إنسان، فكانت بطولاتُهم وعطاءاتهم القدوةَ والمثالَ في التضحية والفداء والذَّود عن الحياض والأهل والأوطان.

ومن الصفحات التي سطرت بطولاتِ أبناءَ الجزائرِ وتضحياتهم وعطاءاتهم، صفحة الشاعرة "روحية القليني"[1] التي سجلت بطولة من أعظم بطولات أبناء الجزائر؛ إنها بطولة الشهيدة الحية والتي أصبحت علمًا من أعلام الحرية والكفاح والنضال، لا في العالم العربي فقط، بل في العالم كله، هي بطولة المناضلة الجزائرية "جميلة بوحريد" التي ضَحَّت بنفسها من أجل مجموعة من الفدائيين؛ فوقعت في أسر الجنود الفرنسيين الذين أذاقوها من العذاب ألوانًا

(١) روحيَّة القلّيني (١٣٣٤- ١٤٠١هـ) (١٩١٥- ١٩٨٠م): شاعرة مصرية مُعاصرة، ولدت في مدينة دسوق (محافظة كفر الشيخ)، وتوفيت في القاهرة، عاشت في مصر، وزارت عدة عواصم عربية وأجنبية، تَلَقَّت تعليمها الابتدائي والثانوي بمدارس كفر الشيخ، ثم التحقت بجامعة القاهرة، وحصلت على الليسانس من كلية الآداب- قسم اللغة العربية. لها تسعة دواوين منها: "الحب والوفاء"، و"همسة الروح"، و"أنغام حالمة" وغيرها. يوسف، مُحَمَّد خير رمضان: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، **تتمة الأعلام للزركلي**، ط٢،، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،، ط٢، ١/ ١٨٧.

بدنيًّا ونفسيًّا من أجل أن تعترف على زملائها، ولكنها أَبَت إلا الصَّمت والصبر؛ فكان جزاؤها لا أقول الإعدام البدني، وإنما الإعدام النفسي عن طريق التعذيب والتنكيل بكل ما يتخيله وما لا يتخيله عقل بشري؛ فسطرت اسمها في سجل الخالدين، وإن لم تنل شرف الاستشهاد؛ فكانت مثالًا ظاهرًا لبنت الجزائر الأبية التي ضَحَّت بأغلى ما تملك من أجل رفعة وطنها واستقلاله؛ وحرية شعبها وعزته؛ فحق لها أن تكون شهيدة مع شهيدات الجزائر، وإن لم تحظ بهذا الشرف الكبير، تُصور ذلك الشاعرة فتقول عنها وعن شهيدات الجزائر الباسلات[١]: (تام الكامل)

بِنْتُ الجَزَائِرِ قَاتَلَتْ مِثْلَ الفَتَى　　وتَدَرَّعَتْ بالصَّبْرِ والإِيمَانِ
"وجميلةٌ" مَثَلُ البُطُولَةِ والفِدَا　　فَاقَتْ بُطُولتُهَا قُوَى الشُّجْعَانِ
لا السِّجْنُ أَرْهَبَهَا ولا تَهْدِيدُهُمْ　　وَمَضَتْ تَصُولُ كَفَارِسِ المَيْدَانِ
كَمْ عَذَّبُوهَا كَي تَبُوحَ بِسِرِّهَا　　فَأَبَتْ وَظَلَّ السِّرُّ فِي الكِتْمَانِ
قالَتْ لَهُمْ: مهْمَا يَطُلْ تَعْذِيبُكُمْ　　سِرُّ البِلادِ أَصُونُهُ بِجَنَانِي
وَطَنِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ رُوحِي وَمِنْ　　مَالِي وَمِنْ هَذَا الحُطَامِ الفَانِي

وتظل هذه المناضلة صابرة محتسبة عذاباتها وآلامها عند الله سبحانه وتعالى، ثم عند بني قومها الذين يُكبرون جهادها ونضالها، وتُقْسِمُ هذه المناضلة بكل يمين أنها ستظل صابرة ثابتة لا تخون وطنها ولا إخوانها المجاهدين مهما نكلوا ومَثَّلوا وعَذَّبوا، وكيف لا، وقد ورثت حب الوطن والتضحية من أجله عن أبيها الذي ذهب شهيدًا في منازلة المحتلين وأعوانهم، تقول[٢]:

أَقْسَمْتُ بَعْدَ اللهِ بالدَّمِ قَانِيًا　　فوقَ الثَّرَى يَنْسَابُ كَالطُّوفَانِ

(١) القليني، روحية: يونيه ١٩٦٤م، **ديوان أنغام حالمة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة مصر، صـ٧٩.

(٢) السابق: صـ٧٩.

بِـــدَمِ الشَّـــهِيدِ الحُـــرِّ يأْبَى فِي الـــوَغَى إلا القِتَـــــالَ بقـــــوَّةٍ وتَفَـــــانِ
بـــــدَم الأُمُومَـــــةِ والطُّفُولَـــــةِ دُونَمَـــا ذَنْـــبٍ جَنَـــتْ إلا هَـــوَى الأَوْطَـــانِ
بِخُطَـــى الأَرَامِـــلِ مُـــثْقَلاتٍ بِالضَّـــنَى فَمَضَـــى الرّجَـــالُ وعِشْـــنَ لِلأشْـــجَانِ
بـــدعاءِ أُمِّـــي فِي دياجـــيرِ الأَسَـــى بالسُّـــهْدِ قَـــرَّحَ فِي الـــدُّجَى أجْفَـــانِي
بالكَهْـــلِ هَدَّتْـــهُ المآسِـــي بَعْـــدَمَا فَقَـــدَ ابنَـــهُ البَـــاقِي بِيَـــوْمِ طِعَـــانِ
إنْ لم أُفَـــــدِّ جَزَائِـــــري بِجَـــــوَارِحِي أو إنْ عَجَـــزْتُ فَلَـــمْ أَصُـــدَّ الجَـــانِي
فـــأنا وربِّي لَسْـــتُ بِابْنَـــةِ مَـــنْ فَـــدَى أرضَ الجَزَائِـــــرِ ثَابِـــــتَ الإيمَـــــانِ
فَأَبِـــي كِتَـــابٌ لـــلبُطُولَـــةِ خَـــالِـــدٌ وَأَنَـــا سُطُـــور المجـــدِ كـــالعُنْوَانِ

ويمضي الشاعر "محمود الخفيف"[1] على ذات الضرب، فيجعل هذه المناضلة "جميلة بوحريد" عنوانًا لإحدى قصائده، كأنه يقول كما كانت جميلة عنوانًا للبطولة ومثالًا للتضحية والفداء؛ فهي شرف لكل قصيدة تُعنون باسمها وتُؤطر ببطولتها الخالدة، يقول مخاطبًا الفرنسيين[2]: (تام الرمل)

اقتلوها هل بَكت إلا حماها أو شـــكت إلى الله أســـاها
اقتلوهـــا حـــرة صـــابرة يشـفق المـوت إذا المـوت رآهـا
لم تعـــد إلا بقـــايا أعظـــم جـزع القيـد لهـا منـذ احتواهـا

(١) من مواليد مدينة الشُّهداء بمحافظة المنوفية عام ١٩٠٩م، وحَفظ القرآن الكريم في كُتَّاب القرية، ثم انتقل مع أسرته إلى القاهرة، والتحق بمدرسة حسن باشا ماهر بالقلعة، ثم انتقل إلى مدرسة خليل آغا الابتدائية، ثم مدرسة فاروق الثانوية، فمدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٨م التي التحق فيها بقسم التاريخ، وحصل منها على الليسانس عام ١٩٣١م، ثم انتُدِبَ للعمل بالأزهر الشريف ليشغل وظيفة سكرتير تحرير مجلة الأزهر، وقد كلِّفته وزارة المعارف بإعدادِ كتابين لإصلاح تاريخ مصر القومي، ثم سافر إلى لندن في بعثةٍ لإعداد المعلمين، وبعد عودته عملَ مفتشًا أول للمواد الاجتماعية بوزارة المعارف، ثم أصبح ناظرًا للمدرسة الإبراهيمية الثانوي وقد وافته المنية ١٩٦١م.

(٢) الخفيف، محمود، ٢٠٠٧م، **الأعمال الكاملة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٦٩.

قـد براهـا السـقم إلا قبسًـا　　أيـن منـه الشـمس في رأدِ ضـحاها

ومحاهـا السـجن إلا شـعلةً　　في حنـايا الصـدر لا يخبـو لظاهـا

ظلمـة السـجن ضـياء حولهـا　　وسـنا الكـون شـعاع مـن شـناها

وحديـد القيـد- مهمـا عضـها　　وبـرى أعظمهـا- أبهـى حلاهـا

اسـألوها واسـألوا جلادهـا　　كـم سـقته مـن عـذاب وسـقاها

عـذَّبتْ جلادَهـا بسـمتُها　　ويقـين لم يُضعضـعه ضـناها

ورآهـا سـخرت مـن ناره　　وكوتـه نارهـا لمـا كواهـا

هـل علمنـا قبلهـا غانيـه　　زحفـت في القيـد تغـزو مـن غزاهـا

لم تقيِّـدْ روحَهـا أغلالُـه　　لا ولا طغيانـه ألجـم فاهـا

سـوطه يلهـب جسـمًا ناحـلًا　　أنْضَـبَتْ فيـه الجراحـات دماهـا

تتلـوى كلمـا ألهبهـا　　سـوطه- تبـت يـداه- كـم رماهـا

تحمـل الجـرح علـى الجـرح ولا　　تحمـل الـذل ولـو قُـدَّ حشـاها

صـرخت تدفعـه عـن عِرضـها　　وهـي في الأصـفاد قد غُلَّت يداها

بلغـت محنتهـا غايتهـا　　وتمنـت لـو ينجيهـا رداهـا

ويحـه إن كـان صـخرًا قلبـه　　لألانتـه تبـاريح جواهـا

آدمـيٌّ إذ يُـرَى هَيْكَلُـهُ　　وهـو صِـنو الـوحش فتكًـا واتجاهـا

قَـالَ لـو قـيس إليـه قـدْره　　عـن تـراب وطئتـه قـدماها

وعلى صفحة أخرى من صفحات الشعر المصري يمجد الشاعر "أحمد عبد المعطى حجازي"[(١)] بطولة المرأة الجزائرية في عمومها، والتي اختار له اسم "جميلة" تأثرًا ببطولة المناضلة "جميلة بوحريد"؛ التي صارت عنوانًا لكل بطولة ورمزًا لكل جهاد ونضال، أو لعله أراد بالاسم ما يدل عليه من وسم ورسم ووصف؛ فكأنه يقول: إن كل أنثى تهب نفسها لوطنها هي في حقيقتها أجمل جميلة، بل هي عنوان الجمال ودليله، فمَجَّد الشاعرُ في هذه الجميلة نضالها وجهادها ومقاومتها الاحتلال الفرنسي البغيض، وسَطَّر بمداد من نور بطولة المرأة الجزائرية وعطاءها، وخَلع عليها كل معاني الصفاء والنقاء والطهر والعفاف، وعندما أراد أن يَصفها لم يجد لها وصفًا أليق ولا ألصق ولا أدل إلا وصف "القديسة"، وفوق ذلك فقد جعل وصفها هذا عنوانًا لصفحتها المضيئة في تاريخ النضال الجزائري كما هي أضوأ في ديوان أشعاره، ولا يخفى ما في هذا الوصف من قداسة؛ لما يحمله من معاني الطهر والنقاء والعفاف والنورانية الملائكية التي تبعد عن مادية البشر المنغمسة في المفاسد والشهوات، إنَّ هذا العنوان "بإنتاجيته الدلالية يُؤسس سياقًا دلاليًّا يُهيئ المستقبل لتلقي العمل"[(٢)] بنوع من الفاعلية المشوقة، وازدادت هذه الفاعلية بالدلالة الواضحة والمؤسسة لمضمون النص وإيحاءاته والمناسبة وقيمتها وخلفياتها؛ "فالقديسة" هنا لم تلتفت- كغيرها- إلى شيء من معالم أنوثتها وصباها وجمالها وبهائها، ولم تنشغل بما تنشغل به قريناتها وأترابها في هذه السن المبكرة من أمور الحب والعشق والهيام والبحث عن الفارس المقدام؛ وإنما انشغلت بهموم وطنها المغصوب وإخوانها

(١) هو أحمد عبد المعطي حجازي، من مواليد عام ١٩٣٥م بمدينة تلا، محافظة المنوفية، مصر، حَفِظ القرآن الكريم، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة حتى حصل على دبلوم المعلمين عام ١٩٥٥م، ثم حصل على ليسانس الاجتماع من جامعة السربون الجديدة، عام ١٩٧٥م، ودبلوم الدراسات المعمقة في الأدب العربي ١٩٧٩م، عَمل بالصحافة، ثم أستاذًا للشِّعر العربي في جامعات فرنسا، له عدة دواوين وبعض المؤلفات الأدبية. البابطين، عبد العزيز: ٢٠٠٨م، **معجم البابطين**، ط٣، مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين، الكويت، ٢٠٠٨م، ٢٩٦/١، بتصرف.

(٢) الجزار، د/ محمد فكرى: ٢٠٠٦م، **العنوان وسيموطقيا الاتصال الأدبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، صـ٤٥.

المطاردين المحاربين وكيفية مساعدتهم، يصورها الشاعر فيقول[١]: (الرجز)

لم تَتَحَسَّسْ صَدْرَهَا

حينَ اغْتَنَى وَصَارَ رُمَّانا

ولم تُكَلِّمْ في أمُورِ الحُبِّ إنْسَانَا

فَقَد قَضَتْ عُمْرَها حَامِلَةً رِسَالَةً مِن التِّلالِ

إلى مَخَابِئِ الرِّجَالِ فِي المدِينَه

قِدِّيسَتِي كَانَ اسْمُهَا جَمِيلَه

أَفْدِيهِ مَنْ سمَّى

فاغتناء صدر المرأة "ثديها" وكبره يُوحي ببلوغها وشبابها، وانصرافها عن محادثة الآخرين والأخريات في أمور الحب والغرام يُوحي بمدى انشغالها بقضيتها وانصرافها عن مثل هذه الأمور إلى ما هو أهم وأجدر.

ويرسم الشاعر صورة جميلة لهذه "الجميلة" وجهًا وعينًا ورموشًا وثغرًا وعمرًا وأخلاقًا وعملاً؛ مما يُؤسس ويُوحي بأن بطولتها لم تكن سأمًا من الحياة، أو قائمة على عدم اعتداد بالنفس؛ وإنما هي بطولة إنسان امتلك كل مقومات الرفاهية، واستطاع أن يصل إلى كل ملذات النعيم، ولكنه أبى كل ذلك ورفضه؛ فداءً لوطنه، وذودًا عن

حياضه، ومشاركة لإخوانه في الكفاح والنضال؛ يقول[٢]:

الوجهُ وجْهُ طِفْلَةٍ لمْ تَتْرُكْ الأُمَّا

والعينُ عَيْنٌ سَاحِرَه

مُضِيئَةٌ كَحِيلَه

(١) حجازى، أحمد عبد المعطي: يناير ١٩٩٣م، **الأعمال الكاملة**، دار سعاد الصباح- الكويت، القاهرة، صـ١٢٥.

(٢) حجازي، أحمد عبد المعطي، **الأعمال الكاملة**، صـ ١٢٥.

كأَنَّمَا اصْطَادَتْ رُمُوشُهَا الطَّوِيلَه

مِنْ السَّمَا نَجْمَا!

كان اسمها جميله

والعمر عمر الزَّهر، لكن الربيع غادر الزمان

لما أتى القرصان

عشرون عامًا، فوقها مائه

منذ أتى القرصان حَلَّت أوجه الأحزان

يا ويلتا! بطولها لم يبتسم إنسان

لم تبتسم جميله

لم تفترش عشبًا بجنب عاشق تحت القمر

لم تعرف اللثما

لم تعرف الغرام! إلا خاطرًا، حلمًا

فقد مضى كل فتى في سِنِّها إلى الجبال

لم يبق منهم واحد تكلمه

لم يبق إلا أن تشد نحوهم، في كل يوم رحلها

حاملة رسالة من التلال

إلى مخابئ الرجال

ويقترب الشاعر من بطولة هذه المناضلة ومهمتها في العمل النضالي، ودورها في محاربة الاحتلال وأعوانه، فيقول[1]:

(١) حجازي، أحمد عبد المعطي، **الأعمال الكاملة**، ص١٢٧.

رسالةٌ في يَدِهَا، وكَلِمَةٌ في فَمِهَا

مِنْ هَهُنَا

وكُلَّمَا مَرَّتْ على جمَاعةٍ مِنْ قَوْمِهَا

يُتَمْتِمُونَ فِي أَسًى مَرِير

كَادَتْ تَصِيحُ: "إِنَّنِي مِنْ جَبْهَةِ التَّحْرِير!"

وإنني أعلم من رجالنا الكثير

وإنني لست حزينه

وكلما تذكرتْ ياسيف

كادت تطير

ياسيف تحت الأرض يمسك المدينة

ياسيف من خمس سنين لم ينم

ياسيف عندما يراها يبتسم

يُحب ترديد اسمها

يسألها عن أمه، عن أمها

وتأتى لحظة الاستشهاد دالة على بسالة (القديسة) وإصرارها على الوفاء والفداء مهما كَلَّف ذلك من تضحيات؛ يُصور ذلك الشاعر في قوله[١]:

وانطلقت رصاصةٌ

لكنها مضت تسير

(١) السَّابق، صـ١٢٧.

رسالة في يدها، وكلمة في فمها

من ههنا!

رصاصةٌ ثانيةٌ تمددت في عظمها

وثالثه

قديستي تغسَّلت في دمها

قديستي! صَلَّت لأجلها مدائن

دقت نواقيسٌ، وكبرت مآذن

طارت طيور في النواحي باسمها!

جميلة الجميله

تعلم أن حولها ألفَ رسول

سيحملون بعدها الرسالة

لكن تُرى من غيرها يقول

"أهواك يا ياسيف"

إن تكرار الشاعر اسم (جميلة) أربع مرات، وصفتها (القديسة) ثلاث مرات، وتكرار الضمائر التي تعود عليها مرات كثيرة- يُوحي بمدى الارتباط الوجداني بين الشاعر والشهيدة، ومدى شعوره وتجاوبه مع مأساتها وشدة عذاباتها وآلامها، واستنكاره لهذه المآسي والآلام، كل هذه وهي مصابرة مواصلة طريق الكفاح والنضال، حتى إذا أتت لحظة استشهادها مضت إلى ربها وهى تُوقن أن آلاف الشهداء سيحملون رسالتها، وينتقمون لها ولوطنها وإخوانها الشهداء.

ويُسَطِّر لنا الشاعر "عبد الرحمن الخميسي"[(١)] بطولة أخرى من بطولات أبناء الجزائر وفدائييه، ويختار الشاعر

القالب القصصي لهذه البطولة تقريبًا لها؛ ولتوفير أكبر قدر من الإيحاء فيه؛ حتى تكتسب العواطف الذاتية به مظهر الموضوعية، كما أن هذا القالب لا يتفق بطبيعته مع النغمة الخطابية الموجودة في الشعر الغنائي غير القصصي؛ مما يضعف قوته، ويُقلل تأثيره؛ ومِن ثَمَّ تفاعلُه ومشاركته مِن قِبَل الآخرين، كذلك فإن أفكاره وأحاسيسه- في هذا القالب- تُظهِر صورًا تحليلية للموقف أو الحدث؛ ينمو بنمائها، وتظهر وحدتها في ظلاله.

فيصور الشاعر هذا البطل (أبو القاسم الجزائري) وهو بين أمه وزوجه وابنه الصغير يعيش حياة هادئة لا يكدرها إلا الاحتلال الفرنسي وجنده الباغون العابثون، وذات يوم تطلب منه زوجُه بعضَ الثياب لابنهما الصغير فيذهب إلى السوق طالبًا الثياب التي بها يعود إلى ابنه وزوجه، يُصور ذلك فيقول[(٢)]: (مجزوء الرمل)

(١) من مواليد بور سعيد في١٣/ ١١/ ١٩٢٠م، ثم انتقل مع والده إلى مدينة الزرقا في محافظة الدقهلية، بدأ الشعر مبكرًا، وراسل أشهر المجلات الأدبية؛ كالرسالة والثقافة، اعتقل الخميسي وظل رهن الحَبس من يونيه ١٩٥٣ حتى منتصف ديسمبر ١٩٥٦ نظرًا لموقفه الدَّاعي للتشبث بالحياة الحزبية الديمقراطية، هاجر إلى بلدان عدة حتى استقر بموسكو التي توفي بها عام ١٩٨٧م، ودُفن بالمنصورة. يوسف، مُحَمَّد خير رمضان، **تتمة الأعلام للزركلي**، ١/ ٣٧٥، بتصرف.

(٢) الخميسي، عبد الرحمن، **ديوان الخميسي**، دار الكتاب العربي- القاهرة- فرع التوفيقية، صـ٣٧.

قالـــت الصـــبح لـــه في كلمـــات كـــالعبير:
"يا أبا القاســـم في السُّـــوق ثيـــاب للصـــغير"
واحتـــوت طفلهـــا الحلـــو بأحضـــان الحنـــان
وســـقته حبهـــا لَثمًـــا وترجيـــع أغـــان
وقـــد اهتـــز جنـــاحُ الصـــبح هَفَّـــاف الســـرور
عـــاطر النـــور بأنفـــاس الـــروابي والزهـــور
ومضـــى يهفـــو أبـــو القاســـم في الـــدرب البليـــل
حالمـــاً بالثـــوب واللعبـــة للطفـــل الجميـــل
وانتهـــى الســـوق... واختـــار الـــذي كـــان يريـــد
لعبـــة فرحـــى وثـــوب رسمـــوا فيـــه الـــورود
شـــالها... ثم مشـــى ينـــبض كالقلـــب الســـعيد
ورأى الـــدنيا حواليـــه، كـــأنَّ اليـــوم عيـــدْ!

ولكن لأن الفرحة لا تدوم، والدنيا في تقلب دائم كالغيوم؛ لم تكتمل فرحة "أبى القاسم" إذ جاءه ما لم يخطر له على بال، جاء جنود الاحتلال، يقول[1]:

عنـــد باب الســـوق جـــاء المجرمـــون- يقفـــونْ
نظـــرات تتلظـــى كـــالجنون- في العيـــون
وعلـــى هامـــاتهم خـــوذاتهم .. جنـــد مـــن فرنســـا
وبأيـــديهم ســـلاحٌ خـــائف يـــرعش يأســـا
هـــم يـــرون الصـــبح ســـيفًا ســـل مـــن غمـــد الســـماء
والغمامـــات دمـــاءً، والأغاريـــد عـــواء

(١) ديوان الخميسي: صـ٣٨.

كـــل شـــيء حـــولهم تقفـــز منـــه طعنـــات
النســـيم الرطـــب، والنـــور ... وحـــتى البســـمات
ســـــيطر الجـــــبن علـــــيهم، وأرادوا يســـــترونه
فمضـــى قائـــدهم يُطلـــق صـــيحات الضـــغينة
وحواليـــه ســـياج مـــن مطـــارقْ- وبنـــادق
وحديـــــد وحـــــراب ومشـــــانق- وبيـــــارق
رفـــرفي بالعـــار يا أعلامهـــم .. عـــار الهزيمـــه
"وأبـــو القاســـم" مأســـور بأغـــلال الجريمـــه
أخـــذوه .... غلَّلـــوه .... ورمـــوه في الحديـــد
مزقـــوا اللعبـــة والثـــوب الـــذي فيـــه ورود
أي شـــيء مزقـــوه؟ أمـــل الطفـــل الصـــغير؟
وانتظـــار الأم أن تفـــرح بالثـــوب الحريـــر

وبعد اعتقاله أُخذ إلى سجن لا يَدري أحد ماذا يكون فيه مِن تعذيب وتنكيل، وأحكام بالشَّنق والإعدام، وكان من المحكوم عليهم شهيدنا "أبو القاسم"، فقد حكموا عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، وأتى وقتُ تنفيذ الحكم فلم يَهن ولم يضعف، بل وقف شامخًا صلبًا كبقية إخوانه الأبطال، يقول[١]:

كـــان فـــوق التـــل ســـجن فيـــه مقتـــول وقاتـــل
أخرجـــوا منـــه "أبا القاســـم" يمشـــي في سلاســـل
كـــان يمشـــي رافـــع الهامـــة صـــلبًا كـــالجزائر
ســـاطع النظـــرة والبســـمة في قلـــب الـــدياجر

(١) ديوان الخميسى: صـ٤٠.

حولـــه يلمـــع في الأيـــدي ســـلاح المجـــرمين
والسَّـــما مـــن فوقـــه تزفـــر كالصَّـــدر الحـــزين
خمســـة قـــد ربطـــوه بحبـــال وحبـــال
وأتـــى قائـــدهم يمشـــى كطـــاووس، وقـــال:
أطلقوا سيل الرصاص
فرمـــوه بالـــرصاص
وهـــوى لكـــن كـــنجم يخطـــف العـــين ســـناه
باســـل الطلعـــة، وضَّـــاءً، وبسَّـــام الثِّـــفاه
طيـــب القلـــب... وهـــذي نضـــبت منـــه دمـــاه
رافـــع الهامـــة حـــتى وهـــو في كَـــفِّ رداه

ثم يختم الشاعر تمجيده بوداع هذا البطل لهذه الحياة وما فيها، وانتقاله إلى الحياة الحقيقية حياة دائمة لا موت فيها ولا فراق، حياة كلها هناء وسعادة وحبور؛ حياة أبدية دائمة النعيم والسعادة، فيقول(١):

يا (أبا القاســـم) لم يبـــق رجـــاء أن تـــؤوبْ
فَقُـــلْ الآن: وداعًـــا للمغـــاني .. للـــدروبْ
للســـماء .. لـــلأرض .. للفجـــر .. ولليـــل الرحيـــبْ
للحصـــى .. للـــزرع .. للجـــدول .. للعشـــب الرطيـــبْ
للبســـاتين هنـــا .. للطـــير .. للزهـــر الحبيـــبْ
وقُـــلْ الآن: وداعًـــا لمـــزامير الـــرياحْ
لابتســـامَاتِكِ يا ليلـــى كـــأنوار الصـــباحْ

(١) ديوان الخميسي: صـ٣٩.

ولأنفاسِـــــــك يا ليلـــــــى كأنفـــــــاس القـــــــاحْ
وقُـــــلْ الآن علـــــى البُعـــــد: وداعًـــــا للصـــــغيرْ
واطْـــوِ أضـــلاعك ... فيهـــا وجهـــه بســـمة نـــورْ

وتكرار الشاعر أفعال الأمر في (فقل، وقل، وقل، واطوِ)، يفيد مع الطلب: التحسر والتألم والتوجع والتفجع، وذلك حين يُودع هذا البطل الدنيا وما فيها من نعيم وسعادة وأمل وصحب ورفاق، فقد جاءت الأفعال ههنا كنفثة ينفثها الشاعر ليُـرَوِّحُ عن نفسه الحزينة الأسيفة للغدر بهذا البطل وترميل أهله ويتم أولاده مِن بعده، كما جاءت مُوحية بالعزاء عن كل ذلك بالمصير المحتوم، ولكنه ليس كأيِّ مصير، بل مصير يتمناه كل حُرٍّ، ويتوق إليه كلُّ راغب في الخلود.

وهكذا قام الشعراء المصريون بتمجيد الثورة الجزائرية وأبطالها والإشادة بهم وبتضحياتهم وعطاءاتهم؛ فخلعوا عليهم كلَّ معاني البطولة والفداء، والبذل والعطاء، والإشادة والثناء، اعترافًا ببطولاتهم وتخليدًا لها، وتحفيزًا للسائرين على دربهم والمقتفين آثارهم من الفدائيين والمناضلين.

المبحث الثاني: التثوير والتحفيز:

وكما كانت بطولات الجزائريين جديرة بالتمجيد والتبجيل والمدح والتنويه، كانت إكسير ثورة: إنها جرعات قوة يُبرزها الشعراء أمام الثوار؛ حتى يحتذوا حذو المناضلين الذين سطروا أسماءهم في سجل الخالدين؛ فكانت بطولاتهم وقودًا يشعل به الشعراء نيران الثورة فتزداد اشتعالًا وتوهجًا يحرق المحتلين، ويُذيقهم الويلات والعذابات التي أذاقوها المناضلين والأبطال الذين نافحوهم وكافحوهم طلبًا لحرية أوطانهم وعزة أهليهم وذويهم، فقد سالت يراعات الشعراء المصريين مسطرة قصائد حماسية تلهب نفوس الثوار، وتؤجج نيران الغضب في نفوسهم، وتدفعهم خوض معارك العزة والفخار دونما وجل أو خوف؛ فليست الحرية هدية تُعطى ولا منحة تُوهب، إنما هي حق يؤخذ قهرًا، ويدفع في سبيله نيله كل غال ونفيس من دماء الشهداء وأشلائهم، وعذابات الجرحى والمصابين ومعاناتهم، وهذه الدماء وتلك الأشلاء ما هي إلا رسائل وعيد وتهديد للمحتلين الغاصبين؛ فدماؤنا وأشلاؤنا وشهداؤنا ومصابونا وجرحانا هم أعز وأغلى مَنْ فينا؛ ومِن ثَمَّ لن نُضيع حقوقهم، ولن نترك ثأرهم، ولن يذهبوا هباءً، فالأبطال على دربهم سائرون، ولنهجهم متبعون، ولسان حالهم جميعًا هو لسان الشاعرة "جليلة رضا"[(١)] التي تقول[(٢)]: (تام البسيط)

لا السجنُ قيَّد إحساسي وأفكاري ... ولا الهُوَى أَخْمَدَتْ أَنْفَاسَ إِعْصَارِي
أنا النَّبَّالُ أمَامَ الطَّائِرَاتِ أَنَا الصّ ... صَدْرُ المعَرَّى أمَامَ المدْفَعِ الضَّارِي
أنا الخِيَامُ أمَامَ الحِصْنَ بَالِيَةٌ ... أنا المشَرَّدُ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ دَارِي
هيهاتَ تَهْزِمُنِي فِي الحَرْبِ أسْلِحَةٌ ... اَنَا المدَجَّجُ بِالإِيمَانِ ... بِالثَّارِ

(١) هي جليلة بنت محمد فؤاد رضا، من مواليد الإسكندرية ١٣٣٥هـ- ١٩١٦م، تَعَلَّمت بالمدارس الفرنسية بالقاهرة، نَظمت الشعر مبكرًا، وكانت عضوًا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، لها عِدَّة دواوين شعرية، توفيت عام ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م. العلاونة، أحمد: ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، **ذيل الأعلام**، ط١، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، ٣/ ٤٥. **معجم البابطين** ١/ ٦٥٦.

(٢) رضا، جليلة: **ديوان اللَّحن الثائر**- الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٩.

فهذه السجون والقيود، والآلام والعذابات، والمآسي والثارات هي التي دفعت الشعب الجزائري وتدفعه إلى الفداء والعطاء، والتوكيد على ذلك بالقسم بكل عظيم وجليل، تقول[١]:

أقســـمتُ فَلْتَشْـــهَدِي يَا أَرْضُ مَجْـــزَرَتِي ويَا سَمَـــاءُ تَـــوَلِّي اليـــومَ إِعْسَـــارِي
شَـــعْبُ الجَزَائِـــرِ قَـــدْ زَكَّـــى عَزَائِمَـــهُ سَـــيْلٌ مِـــن الـــدَّمِ والتَّـــدْمِيرِ والنَّـــارِ
فَخَلْـــفَ كُـــلِّ شَـــهِيدٍ أُمَّـــةٌ بُعِثَـــتْ ومَـــا المَقَاصِـــلُ إلا مِنْبَـــرٌ عَـــارِ
أَقْسَـــمْتُ أنْ أَفْتَـــدِي حُـــرِّيَّتِي بِـــدَمِي وأَنْ أُطَهِّـــرَ أَوْطَـــانِي مِـــن العَـــارِ

وقد ساق كثير من الشعراء مخازي الفرنسيين ومجازرهم وفضائحهم في الجزائر في ثوب من الإنكار حاثًّا بها جموع

الشعب الجزائري على الثورة والمقاومة، يقول الشاعر مُحَمَّد عبد العال[٢]:[٣] (تام الوافر)

فَرَنْسَـــا بِالجَزَائِـــرِ قَـــدْ أَبَادَتْ جُمُـــوعَ الشَّـــعْب بالبلـــد الحبيـــبِ
فَمَـــاذَا قَـــدْ عَـــزَمْتُمْ أَحْـــبِرُونِي أُريـــد الثـــأرَ، هَـــلْ مِـــنْ مُسْـــتَجِيبِ؟
فَمَـــا ذَنْـــبُ الجَزَائِـــرِ إِذْ رَموهَـــا بِوَابِـــلِ نَارِهِـــمْ، بـــين اللَّهِيـــبِ
ولـــو تُحْصَـــى أُلُـــوفٌ مِـــنْ ضَـــحَايَا يَضـــيق الكـــونُ عَـــنْ طِفْـــلٍ وَشِـــيبِ

ويبث الشاعر الحمية في نفوس الشباب والرجال، فيُحدثهم عن شجاعة النساء الجزائريات، وكيف لا وقد خرجن مقاتلات مجاهدات؟ ثم يتعجب الشاعر من نكوص كثير

(١) السَّابق صـ٣٩.

(٢) مُحَمَّد محمود عبد العال (مصر). وُلد عام ١٩٤١ في تمي الأمديد- محافظة الدقهلية، حاصل على بكالوريوس في إدارة الأعمال ١٩٧٠، عمل بالمجالس القروية، ويَعمل الآن أمينًا للمجلس الشعبي المحلي لمركز السنبلاوين، أحد المؤسسين لاتحاد الكتاب المصريين ١٩٧٥، وأمين الاتحاد الاشتراكي العربي بقرية تمي الأمديد ١٩٦٨، قال الشِّعر وهو في المرحلة الثانوية، وعقب النكسة ١٩٦٧ تَفَجَّرت شاعريته بعدة قصائد، أُذيعت في الإذاعة المصرية دواوينه الشعرية: "خفقات قلب" ١٩٧٢- "طلقات الأشعار" ١٩٧٣- "أم كلثوم قصيدة حُب لا تنسى" ١٩٧٥- "العيون الملهمة" ١٩٨٩. البابطين، **معجم البابطين**، ٥/ ٨٨.

(٣) عبد العال، مُحَمَّد: **الأعمال الكاملة**، رابطة الأدب الحديث، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، بدون تاريخ، صـ ١٣٧.

من أبناء الوطن وتقاعسهم عن القتال والنضال، والحال قد أصبح من الفتك والقتل والتخريب والتدمير بحيث لا يتقبله أحد، فكيف نقبله ونحن العرب الأمجاد الذين نأبى الإهانة والإذلال، يقول [1]:

شبابَ العُرْبِ قد خَرَجَتْ نِسَاءٌ ... لِأَخْذِ الثَّأْرِ فِي اللَّيْلِ الرَّهِيبِ
فماذا قد دَهَاكُمْ عَنْ حِمَاهَا ... أَبَعْدَ العِرْضِ نَبْغِي مِنْ رَغِيبِ
فَكَمْ قَتَلُوا بِأَحْشَاهَا جَنِينًا ... وَكَمْ شَابَ الوَلِيدُ مِنْ الخُطُوبِ
وَكَمْ سَفَكُوا دِمَاءً فِي ثَرَاهَا ... تُنَادِي العُرْبَ بِالثَّأْرِ القَرِيبِ
إِلَى أَرْضِ الجَزَائِرِ يَا شَبَابٌ ... فَقَدْ كُشِفَ القِنَاعُ عَنْ الكَذُوبِ
لِحَقِّ العُرْبِ نَبْذُلُ كُلَّ غَالٍ ... لِيَحْيَا النَّاسُ بِالوَطَنِ الرَّحِيبِ

ويزيد الشاعر في تحفيز الشباب وتشجيعهم بأنه يتمنى لو يفتدى ترب الجزائر بدمائه وأشلائه، فقد حوى ثراها كثيرًا من الأبطال والرجال الذين يتمنى اللحاق بهم، فيجب على الكل العطاء والفداء؛ يقول[2]:

فِدَاؤُكِ يَا جَزَائِرُ كُلَّ رُوحِي ... ونَفْسِي والنَّفِيسُ مِن الطُّيُوبِ
فَفِي أَرْضِ الجَزَائِرِ لِي رِجَالٌ ... تَفَانَوا فِي الكِفَاحِ بِلا رَقِيبِ
أَخِي إِنَّ الجَزَائِرَ فِي لَهِيبٍ ... مِن النِّيرَانِ أَوْدَتْ بِالخَصِيبِ
فَجُدْ بِالنَّفْسِ قُرْبَانًا فِدَاهَا ... ودَافِعْ بِالسِّلاحِ وَبِالنَّشِيبِ
فَقَدْ عَوَّدْتَنَا يَا شَعْبُ نَصْرًا ... يَهُزُّ الكَوْنَ بِالعَجَبِ العَجِيبِ
فَمَنْ إِلَّاكَ يَا بْنَ العُرْبِ مُرًّا ... على الأَعْدَاءِ مِنْ وَقْعِ اللَّهِيبِ
فَطَهِّرْ أَرْضَنَا مِنْ كُلِّ رِجْسٍ ... فَإِنِّي قَدْ سَئِمْتُ مِن النَّحِيبِ

(١) عبد العال، مُحَمَّد: **الأعمال الكاملة**، صـ ١٣٧.

(٢) السابق نفسه، صـ١٣٩.

ويمضي الشاعر "هاشم الرفاعي"[١]على الدرب ذاته درب التحفيز والتثوير؛ تثوير الجزائريين وإخوانهم العرب، فيقول[٢]:

(مجزوء الكامل)

بهـــواك بالـــدم فـــوق تربـــك يا جزائـــر
يجـــري وينبـــع مـــن حشاشـــة كـــل ثائـــر
بشـــهيدك الملقـــى علـــى ســـفح المجـــازر
بالســـخط يغلـــي في القلـــوب وفي الحنـــاجر
بالرابضين على القممْ
الثائـرين علـى الظَّلَمْ
ســـنفجر الأضـــواء في تلـــك الـــدياجر
وتســـيل أفـــراح الحيـــاة علـــى المقـــابر
لـــن نســـتكين لـــبطش جـــزاري فرنســـا
لـــن تعـــرف الآمـــال في الأضـــلاع يأســـا
والصـــبح نَبـــذره علـــى الآكـــام بأســـا
والحتـــف بـــين الصـــخر لا نألـــوه غرســـا

(١) هو السَّيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي، ولد في قرية (أنشاص) بالشرقية مِصر في منتصف مارس عام ١٩٣٥م، حَفِظ القرآن في سِنٍّ مبكرة، التحق بمعهد الزقازيق الأزهري عام ١٩٤٧م، التحق بكلية دار العلوم في القاهرة عام ١٩٥٦م، مات مَقتولًا مساء الأربعاء ١/٧/ ١٩٥٩م، ودفن بقريته أنشاص، **مقدمة الدِّيوان** من ٧: ٩١، الرفاعي، هاشم ،١٤١٧هـ- ١٩٩٦م. **الأعمال الكاملة**، تح/ عبد الرحيم جامع الرفاعي، ط١ مكتبة الإيمان، المنصورة، صـ٢٤٦.

(٢) الرفاعي، هاشم، **الأعمال الكاملة**، صـ١٧٩.

حتى تعود ذرى الهضابْ

حمراء تـنبـت بالرقابْ

نـــرى الحصـــا يطفـــو علـــى أشـــلاء غـــادر

جـــاءت لتلقـــى المـــوت موعـــده الجزائـــر

بالســـخط يغلـــي في القلـــوب وفي الحنـــاجر

وهكذا لم تقتصر تضحيات الثوار الجزائريين على بذل الأرواح والدماء، ولم يقف دور الشعراء على تمجيدها والتنويه بها وبدورها في تحرير البلاد والعباد، وإنما امتدت لتصبح إكسير تحفيز ومقاومة، ووقود ثورة ونضال يَغترف منه أبناء الوطن الأحرار؛ فتثور دماؤهم، وتنتفض أبدانهم وأرواحهم؛ لتخرج قوة جبارة لا يهدأ غيظها، ولا يخمد أوارها، ولا تتضعف قوتها إلا بتقتيل الأعداء، وتدميرهم، وإخراجهم من الأوطان مهزومين مدحورين؛ تحريرًا للأوطان، وثأرًا وانتقامًا للشهداء، ودفاعًا عن العزة والكرامة والشرف والسيادة والريادة، أو الموت على مات عليه الشهداء.

المبحث الثالث: الذم والتنديد:

وفي هذا الإطار تناول الشعراء المصريون الاحتلال الفرنسي بالذم والتنديد والهجاء والتقريع؛ لما ارتكبه بحق الثوار الجزائريين والشعب الجزائري كله من انتهاكات وجرائم؛ شابت لها ولدان الجزائر، بل ولدان العالم الإنساني كله.

وكما مجد الشعراءُ الثورة شعبًا وأفرادًا، نددوا بالاحتلال الفرنسي شعبًا وأفرادًا أيضًا، فالاحتلال الفرنسي للجزائر وصم الدولة الفرنسية بكل خزي وعار وسوء وشنار؛ فجعلها أطغى الدول وأظلمها، وأشرسها وأفتكها بالضعفاء والأبرياء؛ حتى صارت عدوًّا لكل حر، بل صارت عدوًا لكل إنسان، يُصور ذلك الشاعر "مُحَمَّد الأسمر" فيقول مخاطبًا الفرنسيين[1]:

(تام الرمل)

يا "فرنسا" أنتِ أطغى دولة ... بَغيها دوَّى على الشرق دَوِيًّا

يا "فرنسا" أنت وحشٌ لم يَزل ... بدم الناس على الشرق رويًّا

أنتِ في (المغربِ) ليث هائج ... هذه الهند إذا شئت فهيَّا

يا "فرنسا" هذه الهند فهيَّا ... لنرى مجد فرنسا العسكريًّا

كم تلقيتِ عليها لطمةً ... ثم أخرى، ثم آثرت المضيَّا

يا " فرنسا" مغرب الشرق صَحَا ... وصحونا نطلب المجد سويًّا

فاجعلي فيه مقيمًا عسكريًّا ... إن تشائي أو مقيمًا مدنيًّا

فكلا الاثنين لا نُبصره ... فوقه إلا عدوًّا أجنبيّا

والفرنسيون شعب ماكر ناكر لا يحفظ عهدًا، ولا يرعى ذِمَّة، ولا يرد جميلًا، فهم بُغاة قاتلون، سَفَّاحون معتدون، جديرون بكل قبيح، ومستحقون كل عقوبة واعتداء عليهم،

(١) الأسمر، مُحَمَّد: ديوان بين الأعاصير، صـ ٩٨.

يصور ذلك الشاعر "محمود الخفيف" فيقول[1]: (تام الرمل)

امكـــروا سُـــحقًا لكـــم مـــن أمـــة الخطيئـــــات بَلغـــــتم منتهاهـــــا

أيـــن هـــذا البغـــي مـــن حريـــة كـــم زعمـــتم شـــعبكم أمـــسِ بناهـــا؟!

ســـطر التـــاريخ مـــن آثامكـــم أن شـــــعب إلى الـــــدنيا نعاهـــــا

كـــم ســـفكتم مـــن دمـــاء حـــرة بـــذلت في ســـاحة المجـــد فَـــداها؟

وأتيـــــــتم كـــــــل نكـــــــراء ذُكِـــرتْ كـــم يـــؤلم الـــدنيا صـــداها؟

أيـــن جـــان دارك جحـــدتم ويحكـــم مـــا عاناهـــا ونســـيتم مـــا دهاهـــا

بـــرأت مـــنكم ومـــن إجـــرامكم إنكـــم أطغـــى وأقســـى مِـــنْ عِـــدَاهَا

مـــا لكـــم كيـــف غـــدوتم أذؤبًا عـــاويات نافـــرات مـــن فلاهـــا

أَنَسِـــيتم- ويلكـــم- جـــارتكم كيـــف كنـــتم بـــين فَكَّيهـــا شِـــياها

يـــوم وَلَّيـــتم فـــرارًا مـــا لكـــم مســـــتقر وتـــــوقيتم لقاهـــــا

ثم عـــــافتكم طعامًـــــا وازدرت خفضـــكم حـــين أجبـــتم مبتغاهـــا

اخفضـــــوا يا قـــــوم هامـــــاتكم فلأنـــتم أوضـــع النـــاس جباهـــا

ثم يذكر الشاعر هذا الشعب بماضيه المخزي المليء بكل الجرائم والانتهاكات؛ التي تجعل الطواغيت- مع عتوهم وتكبرهم وتجبرهم- يقفون مأخوذين من هولها وفظاعتها؛ يقول[2]:

مـــا بلـــونا مِـــن عـــدو مـــثلكم لم يـــــدع فاحشـــــة إلا أتاهـــــا

(١) الخفيف، محمود: ديوان الخفيف، ص١٧١.

(٢) الخفيف، محمود: ديوان الخفيف، ص ١٧٢.

ولكـــم في كـــل عصـــر زلـــة الطواغيـــت كبـــتْ دون مـــداها
كيـف ننسـى في ثـرى الشـام دمـا الـــروابي قبســـتْ منهـــا شـــذاها
كـــم تخطفـــتم "جمـــيلات" وكـــم عبثـــتْ آلافكـــم في ملتقاهـــا
للصـــــليبين مـــــن أســـــلافكم غاشـــيات طـــال في الشـــرق لظاهـــا
ذكرتنـــا ميســـلون" أمســـكم وحملـــتم وزركـــم فيمـــا عراهـــا
حســـبها خيـــل غـــزت محرابهـــا وســـيوف لأومضـــت في منتـــداها
قتَّـــل الأعـــزال مـــن أشـــياخها خوَّفـــــه حـــــتى دعاهـــــا
زلزلتـــــه مـــــدُنٌ كـــــان بهـــــا مســـــتخفًّا وأخافتـــــه قراهـــــا
تاه مختـــــالًا لـــــدى أهرامهـــــا فأجابتـــــه قـــــرون مـــــن ذراهـــــا

وكما ندد الشعراء بالدولة الفرنسية وشعبها، نددوا بزعمائها الذين أصدروا الأوامر لجندهم بالقتل والتدمير، والاحتلال والتهجير، وكان الرئيس الفرنس "شارل ديجول" أكثر من تناولتهم سهام الشعراء وحِرَابهم فوصموه بكل قبيح، وألحقوا به كل نقيصة، فهو كالطبل الأجـوف والخنفساء المشوهة المرذولة، ليـس فيه شـيء إلا الخيلاء الكاذبة، ولم يحز إلا الغدر والخيانة وقتل الضعفاء والأبرياء؛ يصور ذلك الشاعر "علي الجندي"[(١)] فيقول[(٢)]: (مجزوء الرمل)

قـــل لـــديجول وبعـــض القـــول للمرضـــى شـــفاءْ
كـــل يـــوم لـــك قـــول فيـــه لـــف والتـــواءْ
وخطـــــاب لســـــت أدريـــــه أزأرٌ أم عـــــواء

(١) هو علي بن السَّيد الجندي، من مواليد (شندويل) بسوهاج عام ١٣١٨هـ- ١٩٠٠م، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٢٥م، وصار عميدًا لها عام ١٩٥٠م، كان من أعضاء المجمع اللغوي ومجلس الفنون والآداب بالقاهرة، له خمسة دواوين شعرية ونحو ثلاثين مُؤلفًا في الأدب، توفي بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م. **الأعلام**، ٤/ ٢٩٣.

(٢) الجندي، علي، **ديوان ترانيم الليل**، دار المعارف- مصر ١٩٦٤م، صـ ١٠٣.

تُخلـــف الوعـــد ومـــا الإخـــلاف دأب الشـــرفاء
أنـــت عرقـــوب فرنســـا والعراقيـــب ســـواء
أجـــوف كالطبـــل مشـــروجًا علـــى بعـــض الهـــواء
قيمـــة تحبـــو علـــى الأرض وأنـــف في الســـماء
أنـــت تبغـــي أن تحـــل الصـــدر بـــين الكـــبراء
كـــذبتك الـــنفسُ مـــا أنـــت لـــ"فوش[1]" بكفـــاء
أنـــت إن وزنـــت بالقـــواد كنـــت الخنفســـاء
لا يُنـــــال المجـــــد بالتيـــــه ولا بالخـــــيلاء
لا ولا بالغـــــدر والخســـــة أو ســـــفك الـــــدماء

ويواصل الشاعر "إبراهيم أحمد عبد الفتاح"[2] الضرب على هذا الوتر الرنان، فيذكِّر الرئيس الفرنسي "شارل ديجول" بعطاءات الشرق كله له وأفضاله عليه، عندما طُرد من بلاده شر طرد فلم يجد إلا بلاد الشرق التي آوته وأحسنت إليه وأكرمت وفادته؛ فما كان منه إلا أن تنكر لجميلها وقابل إحسانها بالسوء والظلم والطغيان؛ يقول[3]:

الشـــرق آواك يا ديجـــول في كـــرم سَمْـــحٍ وكنـــتَ طريـــد الحـــرب حـــيرانا
والآن يلقـــى الجـــزاء العـــدلَ مـــن رجـــلٍ مهـــذبٍ يوســـع المعـــروف نكـــرانا

(١) فوش: "هو القائد الفرنسي في الحرب العالمية الأولى، وقائد جيوش الحلفاء جميعًا، وقد تم النصر له على ألمانيا وحلفائها.

(٢) هو إبراهيم أحمد عبد الفتاح، من مواليد "ديرب نجم" بالشَّرقية، عام ١٣٢٧هـ- ١٩٠٩م، تخرج من مدرسة دار العلوم العليا عام ١٩٣٥م، وعمل مدرسًا فناظرًا فموجهًا، ثم مستشارًا لشيخ الأزهر لشئون المعاهد الدينية الأزهرية بالإسكندرية، له عِدَّة دواوين ومسرحيات شعرية. توفي بالإسكندرية عام ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م. البابطين، معجم البابطين ١/ ٧٢.

(٣) عبد الفتاح، إبراهيم أحمد، ربيع الثاني ١٤١٠هـ- نوفمبر ١٩٨٩م، **ديوان من وحي الدعوة الإسلامية**، دار القبس للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص ٤٩.

يُعطـــــي المواثيـــــق في إِبَّانِ نكبتـــــه　　حـــتى إذا مـــا انجلـــت عـــن رأســـه خـــانا
هـــذه الجزائـــر تلقـــى مـــن مكايـــده　　جـــزاء إعطائـــه للحـــرب فرســـانا
كانـــت مثابـــة إســـعاد (للجنتـــه)　　فهـــل رأت عقـــب الإحســـان إحســـانا
فيـــا بـــني الشـــرق هُبـــوا مـــن رقـــادكم　　يُضـــام مـــن لم يكـــن في الـــدهر يقظـــانا

وهكذا بدلت الثورة الجزائرية الصورة الذهنية لفرنسا من حيث التقدم والتحضر ومراعاة القيم الإنسانية، بل الدفاع عنها والترويج لها في العالم كلها؛ بوصفها حامية الإنسان والمدافعة عن حقوقه؛ فكانت هذه الثورة النار التي صهرت كل هذه الدعاوى والأفانين؛ وأظهرت الفرنسيين على حقيقتهم البشعة التي لا تَرعى إلًّا ولا ذمة، ولا تحفظ عهدًا ولا ميثاقًا، فهم أقرب إلى الوحوش الضارية والذئاب الشَّرهة إلى الدماء والأشلاء منهم إلى بني الإنسان.

الخاتمة

بعد هذا التطواف مع الثورة الجزائرية المجيدة، والتي عايشها الشعراء المصريون وتابعوا أخبارها وأحداثها بكل اهتمام؛ فسجلوا بطولاتها وعطاءات أبطالها وتضحياتهم بمداد من نور على صفحات المجد والرفعة والشرف والسُّؤدد، بعد هذه الرحلة يستطيع الباحث أن يُقرر في ثقة واطمئنان بعض النتائج التي انتهى إليها البحث، ومن أهمها:

(١) قام الشعراء المصريون بتمجيد الثورة الجزائرية والإشادة بأبطالها وبتضحياتهم وعطاءاتهم؛ فخلعوا عليهم كل معاني البطولة والفداء، والبذل والعطاء، والإشادة والثناء؛ اعترافًا ببطولاتهم وتخليدًا لها، وتحفيزًا للسائرين على دربهم والمقتفين آثارهم من الفدائيين والمناضلين.

(٢) تحول الثائر الجزائري في الشعر المصري الحديث إلى رمز إنساني كامل، وقيمة عالمية مُطلقة، مما يعني أن بطولته وعطاءه لم يقفا عند حدود الدولة الجزائرية؛ بل تجاوزها إلى أفق أرحب وفضاء أفسح وعطاء أكمل.

(٣) كان تناول الشعر المصري الحديث كفاح الشعب الجزائري ونضاله من أجل حريته واستقلاله وإشادته ببطولات أبنائه وتضحياته؛ تدعيمًا لمبادئ المقاومة والنضال ضد الاحتلال والاستدمار أيًّا كانت صورته أو شكله، وإبرازًا لتضحيات الشعوب وبطولاتهم حتى تكون نبراسًا تهتدي به الأمم الناهضة، التي تقاتل من أجل حريتها وكرامتها وعزتها، ولا يكون ذلك بحماية أوطانها والدفاع عنها ضد أيِّ محتل أو مُغِير.

(٤) اتخذ الشعراء المصريون جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر وجرائره مادة خِصبة ووقودًا فاعلًا في تحفيز الجزائريين وتشجيعهم لمنازلة هذا المحتل ومُدافعته من أجل تحرير البلاد وتطهيرها من هؤلاء الوحوش الذين لم يحفظوا عهدًا، ولم يُراعوا عطاء ولا قيمة للشعب الجزائري وتضحياته من أجل تحرير فرنسا من الاحتلال النازي.

(٥) اتخذ الشعراء المصريون جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر وجرائره مادة خصبة؛

فَضَحُوا من خلالها جبروت هذا الاحتلال وتسلطه وشراسته وخيانته وأشره وبطره وانتهاكاته لحقوق الإنسان دون رادع أو زاجر؛ فأوقفوا هذا المحتل عاريًا مخزيًا أمام العالم ؛ فكان لهم ولأشعارهم أكبر الأثر في هياج الرأي العام الدَّاخلي والعالمي على هؤلاء المحتلين.

(٦) خص الشعراء المصريون قادة الاحتلال وزعماءه بمزيد من الذم والتنديد، وقد تنوع بين المباشر الذي يعتمد على السب والتوبيخ وإلصاق الصفات الذميمة؛ كالغدر، والخيانة، وعدم حفظ الجميل والمعروف، ومقابلة الإحسان بالإساءة، والظلم، والاعتداء... إلى غير ذلك، وغير المباشر القائم على التهكم، والاستهزاء، وتفنيد الحجج والبراهين، والتعيير بالهزائم، والشماتة، والتشفي... وغير ذلك .

توصيات البحث:

بعد هذه الرحلة في الثورة الجزائرية والأشعار المصرية التي تناولتها يُوصي الباحث بجمع هذه الأشعار في سِفر كبير؛ لتكون زادًا لكل مَن يريد أن يُؤرخ أو يَطَّلع على هذه الحقبة التي دارت فيها هذه الثورة، وما شهدته من بطولات أبناء الجزائر وتضحياتهم من أجل تحرير بلادهم وأوطانهم.

المصادر والمراجع:

١- الأسمر، مُحَمَّد، **ديوان بين الأعاصير**، شركة فن الطباعة، شبرا- مصر، توزيع دار الفكر العربي، القاهرة- مصر.

٢- البابطين، **معجم البابطين**، ط٣، مؤسسة جائزة عبد العزيز بن سعود البابطين، الكويت، ٢٠٠٨م.

٣- الجزار، د/ مُحَمَّد فكرى: **العنوان وسيموطقيا الاتصال الأدبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

٤- الجندي، علي، **ديوان ترانيم الليل**، دار المعارف- مصر ١٩٦٤م.

٥- حجازي، أحمد عبد المعطى: **الأعمال الكاملة**، دار سعاد الصباح- الكويت، القاهرة- يناير ١٩٩٣م.

٦- الخفيف، محمود، **الأعمال الكاملة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

٧- الخميسي، عبد الرحمن، **ديوان الخميسي**، دار الكتاب العربي- القاهرة- فرع التوفيقية.

٨- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، مايو/ ٢٠٠٢م.

٩- رضا، جليلة: **ديوان اللحن الثائر**- الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ .

١٠- الرفاعي، هاشم، **الأعمال الكاملة**، تح/ عبد الرحيم جامع الرفاعي، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١١- ضيف، عبد المالك، **صورة الجزائري في الشعر العراقي الحديث**، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة المسيلة، العراق.

١٢- عبد العال، مُحَمَّد: **الأعمال الكاملة**، رابطة الأدب الحديث، مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، بدون تاريخ.

١٣- عبد الفتاح، إبراهيم أحمد: **ديوان من وحي الدعوة الإسلامية**، دار القبس للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ربيع الثاني ١٤١٠هـ- نوفمبر ١٩٨٩م.

١٤- العسيلي، بسَّام، **جيش التحرير الوطني الجزائري**، ط١، دار النفائس، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٥- العلاونة، أحمد: **ذيل الأعلام**، ط١، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٦- غنيم، محمود، **الأعمال الكاملة**، دار الغد العربي، القاهرة- مصر ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

١٧- **المقاومة الشعبية في الشرق**، مجموعة مؤلفين، سلسلة: (اخترنا لك) "٣٠"، دار المعارف بمصر.

١٨- القليني، روحية: **ديوان أنغام حالمة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة مصر، يونيه ١٩٦٤م.

١٩- هويدي، فهمي: **عريضة اتهام مغربية ضد المشارقة**، مجلة الدوحة، عدد ١٢٣٢، مارس سنة ١٩٨٦.

٢٠- يوسف، مُحَمَّد خير رمضان: **تتمة الأعلام للزركلي**، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.